

الآثار النفسية للإساءة للمقدسات الإسلامية

The Psychological Effects of Insulting Islamic Sanctities

مختارية بن لعربي¹، يمينة بزيان²Benlarbi Mokhtaria¹, Beziat Yamina²

1 مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد (الجزائر)،

benlarbi.mokhtaria@univ-oran2.dz

2 مخبر علم النفس العصبي والاضطرابات المعرفية والاجتماعية العاطفية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)،

beziez.yamina@univ-ouargla.dz

تاريخ النشر: 2022/01/25

تاريخ القبول: 2021/12/29

تاريخ الاستلام: 2021/08/11

الملخص: هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على الآثار النفسية للإساءة للمقدسات الإسلامية من وجهة نظر مجموعة من المختصين النفسيين والاجتماعيين، تم استخدام المنهج الوصفي باعتماد التحليل والاستكشاف؛ ذلك بتطبيق استمارة بحثية على عينة بلغ عددها (35) مختصا نفسيا واجتماعيا ثم العمل على تحليل المعطيات، وقد أشارت النتائج إلى أن ما نسبته 63% من المختصين قد أكدوا أن الإساءة للمقدسات الإسلامية لها آثار نفسية على الفرد الجزائري المسلم، نذكر من بين هذه الآثار: القلق، الغضب، الشعور بالظلم والضعف، اليأس والقنوط، العنصرية، الإحباط، الحزن، وغيرها، وأن هذه الآثار النفسية تختلف كثيرا باختلاف الجهة المسؤولة عن الإساءة، فيما لا تختلف كثيرا باختلاف شكل الإساءة وطبيعتها، خلصت الدراسة بتقديم مجموعة من التوصيات في ضوء النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: الآثار النفسية، الإساءة للمقدسات الإسلامية، المختص النفسي، المختص الاجتماعي، المقدسات الإسلامية.

Abstract: This study aims at identifying the psychological effects of insulting Islamic sanctities, according to psychology and sociology experts.

In this article, we are going to talk about both the theoretical and practical sides of the study. Accordingly, the researcher administered a standardized questionnaire to a randomly chosen sample consisting of 35 experts in Psychology and sociology.

We found that 63% of the psychology and sociology experts confirm that insulting Islamic sanctities has psychological effects on Algerian Muslim such as anxiety, anger, feeling weak, depression, and sadness..., These effects differ according the party responsible for the insult, and do not differ according to the type of insult to Islamic sanctities.

Keywords: Psychological Effects, Insulting Islamic Sanctities, Psychology Experts, Sociology Experts, Islamic Sanctities.

مقدمة:

إن مسألة الدين في حياة الإنسان من الأمور المهمة جدا، فالدين هو الرابط بين الإنسان وربه، ليس هذا فقط فهو يحمل الكثير من الضوابط التي تحكم الأفراد من علاقات، معاملات، حريات وواجبات، فهو بهذا يشمل جانبين يتحددان في علاقة الفرد بخالقه، وعلاقة الفرد بنفسه وغيره.

فالدين الإسلامي - على اعتبار أنه أحد الأديان السماوية- هو نظام حياة؛ يتعلق بمجموعة من العقائد والأعمال المقدسة التي يهدف الفرد من خلال تأديتها إلى التقرب لله، وهي من تحدد العلاقة بينه وبين غيره وتوجهها نحو النفع والخير، والابتعاد عن كل ما يسبب الضرر له ولغيره، فهو بذلك مجموعة معتقدات تؤمن بها جماعة معينة، تسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء.

يشتمل الدين الإسلامي على مجموعة من الشعائر والرموز الدينية التي تعتبر بالنسبة لنا كمسلمين من الأمور المقدسة جدا كالقرآن الكريم، الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الصلاة، الكعبة المشرفة، المساجد، شهر رمضان، العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى وغيرها، هذه الرموز هي أساس الدين الإسلامي وبها وبغيرها الكثير، يختلف عن غيره من الديانات الأخرى، فهي تمثل عماد الدين الإسلامي وكل فرد مسلم يكن لها مشاعر الاحترام والتقدير ويكرمها قولاً وفعلًا؛ في القول أثناء التحدث عنها، أو في الفعل عن طريق القيام بشعائر معينة، وعليه فإن إساءة جهة معينة أو شخص ما لهذه الرموز أو لأحد الشعائر يعد مساسا بالدين الإسلامي ككل، فهي تعد من أهم مقوماته ولها أهمية وقيمة كبيرة لدى المسلمين.

1. إشكالية:

تكررت في السنوات الأخيرة ظاهرة تناول بعض وسائل الإعلام وبعض الشخصيات الوزارية السياسية ذات مراكز هامة على الإسلام والمقدسات الإسلامية، وقد اتخذت هذه الإساءات أساليباً وطرقاً وأشكالاً مختلفة، لم تختلف في هدفها بقدر ما اختلفت في أساليبها وطرقها ألا وهو الإساءة للدين الإسلامي الحنيف.

إن الإساءة للمقدسات الإسلامية عرفت انتشاراً في الآونة الأخيرة، فقد تعرض الدين الإسلامي لحمات تشويه استهدفت أهم مقدساته ورموزه، خصوصاً من طرف الحكومات ووسائل الإعلام الغربية وبصور وأشكال مختلفة تمثلت في الصور الكاريكاتورية، أفلام مسيئة، تنديس أو هدم مساجد، الاعتداء على المسلمين في أيام مباركة كالعيدين أو شهر رمضان، منع المسلمين من أداء صلواتهم وغيرها من الصور والأشكال المختلفة التي حاولت النيل من الدين الإسلامي والإساءة إليه تحت مظلة حرية التعبير، آخرها كان ما حدث في فرنسا، فحادثة قتل أستاذ فرنسي بسبب عرضه لصور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لم تمر مرور الكرام، إذ أدى ذلك إلى

مجموعة من الحملات الشرسة ضد الدين الإسلامي، وإلى تعرض رموزه إلى وابل من الإهانات والإساءات من طرف الأفراد والحكومات، كما لم يسلم المسلمون في فرنسا المغتربين منهم وحتى الحاملين للجنسية الفرنسية من هذه الموجة حيث تعرضوا إلى اعتداءات جسدية ولفظية من إهانة وسب وتعدي.

هذا كما قد حدثت الكثير من التجاوزات اللفظية والفعلية التي صدرت عن جهات مختلفة تمس الدين الإسلامي، خصوصا في الفترات والأوقات المقدسة لدى المسلمين، فتنشر أحيانا الرسوم الكاريكاتورية التي تستهدف أحد الرموز الإسلامية خصوصا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأحيانا أفلام تشوه فترة الدعوة المحمدية وتصور الرسول عليه الصلاة والسلام في صورة سيئة تمس شخصه الكريم، إضافة إلى التعدي على المسلمين أثناء قيامهم بشعائهم على سبيل المثال في فلسطين حيث يُمنعون من أداء الصلاة، أو يتم هدم المساجد والتعدي عليهم أثناء الصلاة، هذا ما يمكن أن يسبب غضبا وإحساسا بالظلم لدى المسلمين عامة في مشارق الأرض ومغاربها ويجعلهم مستائين ومنزعجين من قيام بعض الأفراد أو الجهات الدولية بالمساس بأحد رموز دينهم الإسلامي وانتهاك حقوقهم العقائدية تحت مسمى حرية التعبير.

إن الفرد الجزائري كمتابع لهذه الأحداث التي تهدف إلى تشويه الدين الإسلامي، وتسعى إلى الإساءة إليه وإلى رموزه التي تعتبر بالنسبة إليه من المقدسات التي يكن لها أسمى درجات الاحترام؛ قد يخلق لديه مجموعة من الآثار النفسية المختلفة قد تتفاوت درجاتها باختلاف نوع الإساءة وطبيعة الجهة المسيئة، وهذا ما سعت إليه الدراسة الحالية التي انطلقت من الأسئلة التالية:

أ. هل الإساءة للمقدسات الإسلامية تسبب آثارا نفسية للفرد الجزائري المسلم من وجهة نظر مجموعة من

المختصين النفسيين والاجتماعيين؟

ب. ما هي الآثار النفسية التي تسببها الإساءة للمقدسات الإسلامية لدى الفرد الجزائري المسلم من وجهة نظر

مجموعة من المختصين النفسيين والاجتماعيين؟

ج. هل تختلف الآثار النفسية الناتجة عن الإساءة للمقدسات الإسلامية باختلاف الجهات المسؤولة عن هذه

الإساءة من وجهة نظر مجموعة من المختصين النفسيين والاجتماعيين؟

د. هل تختلف الآثار النفسية الناتجة عن الإساءة للمقدسات الإسلامية باختلاف شكل الإساءة وطبيعتها من

وجهة نظر مجموعة من المختصين النفسيين والاجتماعيين؟

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة الحالية إلى:

- التعرف على مفهوم الإساءة للمقدسات الإسلامية ومدى تأثير الأفراد نفسيا بها.

-التعرف على الآثار النفسية للإساءة للمقدسات الإسلامية.

-معرفة مدى تأثير الإساءة للمقدسات الإسلامية على الفرد الجزائري المسلم باختلاف بعض المعطيات كشكل الإساءة ونوع الجهة المسيئة، من وجهة نظر مجموعة من المختصين النفسيين والاجتماعيين.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في جمعها لموضوعين مهمين كل منهما يختلف كثيرا عن الآخر ألا وهما علم النفس والمقدسات الإسلامية؛ حيث ربطنا بينهما من خلال محاولة معرفة الآثار النفسية التي تسببها الإساءة للمقدسات الإسلامية للفرد الجزائري، ومدى اختلاف هذه الآثار باختلاف نوع الجهة المسيئة، وشكل الإساءة. ما نود الإشارة إليه أيضا أننا لم نعرش -في حدود اطلاعنا- على أي دراسة بحثت في الآثار النفسية للإساءة للمقدسات الإسلامية، وبذلك فإن الدراسة الحالية قد تعد سابقة في ذلك، كما أنها قد تفتح الأبواب أمام الباحثين للتوسع أكثر في الموضوع وتناوله من جهات ورؤى مختلفة.

2. الإطار النظري للدراسة

1.2 مفهوم المقدسات الدينية:

المقدس لغة هو المبارك، والأرض المقدسة هي الأرض المطهرة، ويقال أرض مقدسة أي أرض مباركة. (قحاق، دون سنة، صفحة 236). والدين هو الانقياد والجزاء والحساب، اسم لجميع ما يتدين به والملة جمع أديان وتدين بعقيدة أي دان بها. (بجياوي، 2010، صفحة 05)

يرى "يوسف شلود" أن المقدس هو هذه القوة الخفية واللاشخصية الخيرة والرهيبة التي يعتقد بأنها وراء كل سلطان، كل سعادة، كما يعتقد بأنها وراء كل شفاء هو فوق ذلك موقف تكون فيه الكائنات والأشياء مستبعدة من العالم الدنيوي المندس. (بن بشير، 1987، صفحة 23)

المقصود بالمقدسات الدينية المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله وهي الأولى بالحماية القانونية، وهي اليهودية والمسيحية والإسلامية التي يعتبر أصلها واحد لأنها خرجت من منبع تتفق في الأصل والجوهر ولكنها تختلف في الجزئيات.

وقد عرفت المقدسات الدينية على أنها مجموعة العقائد التي انعقدت عليها نفس الإنسان وارتبطت بها روحه، فلا ينفصل عنها، وإن اختلفت درجة منحه لها وإعانتها بها ورسوخه فيها. (بجياوي، 2010، صفحة 07).

2.2 المقدسات الدينية الإسلامية:

تنشأ المقدسات الدينية الإسلامية من خلال ما تملبه العقيدة على اتباعها من التوجه إلى مكان معين، أو اعتبار أشياء معينة ذات قدسية تجعلها محل احترام أتباعها، تترجمه ممارسة عملية في مكان معين. (قحقح، دون سنة، صفحة 236).

نستنتج من خلال اطلاعنا أن المقدسات الإسلامية هي مجموعة من المعتقدات والشرائع والالتزامات التي يشترك فيها الأفراد الذين ينتمون إلى الدين الإسلامي ويدينون به، فهي موحدة تشمل جميع المسلمين في العالم.

3.2 الإساءة للمقدسات الدينية الإسلامية:

إن الحاجة إلى التدين مهمة جدا ومنتشرة للغاية، فالإنسان عبر الأزمنة الماضية احتاج إلى الإيمان بقوة غيبية يدركها ويحترمها ويقدرها، ولهذا تعتبر المقدسات الدينية من الأمور التي لا يقبل المساس بها أو التعدي عليها في سائر الديانات والشرائع جميعا، لأجل ذلك عملت القوانين والتشريعات المختلفة على تقرير حماية خاصة لها. (الشيخ، 2006، صفحة 256)

من صور التعدي على الدين الإسلامي نجد:

-إهانة الأمور والأشياء الدينية بالقول أو الإشارة

-إهانة المسلمين أو الاعتداء عليهم جسديا أثناء تأديتهم لشعائهم الدينية

-نشر صور مسيئة للدين الإسلامي

-إنتاج أفلام تتضمن الإساءة لرموز دينية إسلامية جد مقدسة

-تقليد احتفال ديني في مكان عمومي قصد السخرية والازدراء. (قحقح، دون سنة، صفحة 240).

وعليه نستنتج أن مظاهر التعدي على الدين الإسلامي مختلفة وكثيرة، نجد منها رسومات كاريكاتورية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأفلام تسيء إلى الإسلام وتروج لارتباطه بالإرهاب والقتل والتعصب، إهانة المسلمين أثناء تأديتهم لشعائهم الدينية وإيذائهم جسديا بالضرب، أو معنويا بالإشارات المهينة، هدم المساجد أو منع المصلين من أداء صلواتهم، القيام بأمور معادية للدين الإسلامي تتزامن مع أيام مقدسة بالنسبة للمسلمين مثل شهر رمضان، شهر ذي الحجة أو أحد العيدين.

4.2 المعايير المعتمدة في تحديد المقدسات:

من بين المعايير المعتمدة في تحديد المقدسات نجد:

أ-المعيار الشخصي: يرتبط الدين في نظر الاتجاه إلى القوى العليا التي توجه الإنسان، وتسير الطبيعة والحياة البشرية، وتتحكم فيها أي أن الدين هو إيمان مطلق بالغيب وقيمة روحية مقدسة بكل إنسان.

ب-المعيار الثقافي: وفقا لهذا المنظور فإن الدين يمثل أحد المستويات العليا للثقافة، فهي نتاج له تاريخ والتاريخ يثبت أن التراكم المتزايد لها يزيدا قدسية وغنى، وأن الثقافات الدينية المقدسة يكتسبها الأفراد عن طريق التعلم والتلقين لا من خلال الفطرة الغريزية كما هو الشأن للمعيار الشخصي، وطالما أن الأديان السماوية لها أسفارها المقدسة وعقائدها الغيبية اليقينية والأفكار القاطعة عن الإلحاد فإن من الطبيعي أن يتم اكتسابها عن طريق التلقين من خلال التعاليم وسنن الرسل. (قحاح، دون سنة، صفحة 238).

ج-المعيار السياسي: يرتبط هذا المعيار بالفكر التاريخي السياسي، إذ سعى الحكام إلى إطلاق لفظ التقديس على أنفسهم حتى لا يتصدى لهم أحد بالنقد أو التجريح، ثم انتقلت القدسية من شخص الحاكم إلى أعماله التي يتولاها.

د-المعيار الفلسفي: هذا المعيار يرتبط ارتباط لزوم بفهمه للتقديس، إذ يستقي روافده وجذوره من معنى "القدوس" كصفة من صفات الله، وهي صفة سلبية لنفي كل تصور بشري عن الله، سيما مع عدم علمنا بكنه ذاته فكل ما يدور في تفكير الإنسان من مدركات كان الله بخلافها، فالقدرة الإنسانية محدودة في هذا، وغير قادرة على مقارنة القوة الخيالية ومصاحبته. (بجياوي، 2010).

5.2 المقدمات الإسلامية:

من بين المقدمات الإسلامية نجد:

- الله، القرآن الكريم، النبي محمد صلى الله عليه وسلم وباقي الأنبياء، السنة النبوية
- المسجد الحرام، المسجد النبوي الشريف، المسجد الأقصى وباقي المساجد في العالم أجمع.
- الأعياد الدينية عند المسلمين (عيد الفطر، وعيد الأضحى)، يوم الجمعة، شهر رمضان.

6.2 حرية الرأي والتعبير:

أ-الحرية: الحرية هي قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء، حيث لا يكون تابعا لأي أحد، ويكون متخلصا من القيود ومن العبودية، وهي الانطلاق والبعد عن الاحتجاز والتحكم. (طلحة، 2018، صفحة 12، 13)

حرية الرأي والتعبير حجر الزاوية في البناء الحقوقي للحريات الأساسية وبدونها لا يمكن الحديث عن ضمانة للنظم الديمقراطية، ولذلك قيد هذا الحق دوليا على نطاق ضيق جدا وفي حالات واضحة ومحددة ونصت المادة 19 في العهد الدولي للحقوق السياسية والمدنية على:

*لكل انسان حق اعتناق آراء دون مضايقة

* لكل إنسان حق في حرية التعبير ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها. (إبراهيم، 2013، صفحة 45).

* نستنتج ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة 2 من هذه المادة واجبات ومسؤوليات خاصة وعلى ذلك يجوز إخضاعها لبعض القيود ولكن شريطة أن تكون محددة بنص القانون وأن تكون ضرورية:

- لاحترام حقوق الآخرين أو سمعتهم

- لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق العامة. (حقوق الإنسان، دون سنة، صفحة 482)

ب- حرية التعبير: تعد حرية التعبير جوهر الحريات الفكرية على الإطلاق، وذلك أنه من حق الإنسان أن يفكر فيما يشاء وأن تكون عقيدته الداخلية الفكرية مستقلة ومتررة، فإن حقه هذا يبقى ناقصا إذا لم يتمكن من التعبير عن آرائه وأفكاره ونقلها من حيز الفكر إلى الوجود بالفعل.

وتعد حرية التعبير مطلباً ديمقراطياً وحقا مدنيا حديث نسبيا فهي حق الفرد في اتخاذ الآراء دون التدخل، وفي التعبير عن رأيه ويشمل هذا الحق البحث عن المعلومات والأفكار من أي نوع ونقلها بغض النظر عن الحدود، وبالطرق التي يريئها ويراهها مناسبة من أشكال التعبير المتعددة فنية أو كتابية وغيرها، وذلك طبعاً في حدود قانونية وضمن إطار عام محدد. (إبراقن، 2007، صفحة 406).

أما الحق الذي يتمتع به الفرد في إبداء رأيه بخصوص أي موضوع يهمه والتعبير عنه في وسيلة اتصال يراها مناسبة، وقد أعلن هذا الحق في المادة 11 من إعلان حقوق الإنسان والمواطن لعام 1987 وهو الحق الذي نصت عليه كذلك المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

"كل فرد له الحق في الرأي والتعبير وله الحق في نشر الأخبار والأفكار عبر وسيلة إعلامية دون أي اعتبار للحدود الجغرافية وتشمل هذه الحرية حرية الفكر والمعتقد". (بدوي، 1985، صفحة 73)

هذا ويمكن تلخيص ضوابط حرية التعبير فيما يلي:

- وجوب ارتباط حرية التعبير بأهداف الشرائع السماوية

- تقيد حرية التعبير بعد المساس بمصلحة الجماعة

- ارتباط حرية التعبير بالحقوق الأساسية الأخرى

- إلزامية تقيد حرية التعبير بالغاية من إقرارها وعدم إطلاقها

-تحري النزاهة والموضوعية أثناء ممارسته. (الرشيدي و السيد حسن، 2002، صفحة 103).

7.2 الإساءة للمقدسات الإسلامية وخطاب الكراهية:

إن خطاب الكراهية يمس بالهجوم منطلقات مبدئية وأساسية في منظومة حقوق الإنسان مثل المساواة، والحق في احترام الكرامة الإنسانية، وفي احترام حرية المعتقد، كما يحرم خطاب الكراهية الجماعة أو الأشخاص المستهدفين من حقوقهم في مختلف أشكال الحماية الأخرى التي يتمتع بها الآخرون في المجتمع، والتي توفرها حقوق الانسان، وبالتالي فإن توجيه مثل هذا الخطاب بحقهم يؤدي إلى خلق بيئة عدائية ضد هؤلاء سواء في أماكن العمل أو في مجال التعليم أو غير ذلك. (بريزات، 2015، صفحة 12).

هذا ويضيف "بريزات، 2015" من خلال ما سبق ما يلي:

أولاً: إن الممارسات التي تجري حالياً بحق الرموز الإسلامية هي ذات مساس واضح بكرامة المسلمين وجارحة لمشاعرهم وتعتبر ممارسة تمييزية نحوهم.

ثانياً: المحاكم الوطنية وكذلك المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان تأخذ هذه الاعتبارات بمنتهى الجدية.

ثالثاً: إن القوانين التي تجرم خطاب الكراهية أو تحد منه أو حتى تحرمه تمس حرية التعبير، لكن في الوقت ذاته فإن المعايير الدولية لحقوق الإنسان تُخضع ممارسة هذه الحرية لقيود من أجل حماية حقوق الآخرين، وكرامتهم من ممارسات تصب جلها في باب خطاب الكراهية، وتعبّر عن مضامينه، ناهيك عن أن الصكوك الدولية المعنية تحرم خطاب الكراهية بشكل قاطع (المادة 2/20 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية)، كما لمسنا كيف طبقت المحكمة الأوروبية هذه المعايير وتجاوزت الحماية الواسعة التي توفرها حرية التعبير لمرتكبي أعمال التحريض أو الإيذاء للرموز الإسلامية عندما تعلق الأمر بحماية حقوق الآخرين وسمعتهم. (بريزات، 2015).

3. الجانب التطبيقي للدراسة

1.3 منهج الدراسة:

نظراً لطبيعة الدراسة، ومراعاة لأغراضها وهدفها؛ فإن المنهج الملائم لهذه الوضعية البحثية هو المنهج الوصفي باعتماد الاستكشاف والتحليل.

2.3 الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

أنجزت هذه الدراسة في شهر جانفي الحالي، على عينة من الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين؛ حيث طُبقت عليهم استمارة إلكترونية للتعرف على تشخيصهم وآرائهم بخصوص الآثار النفسية للإساءة للمقدسات الإسلامية.

3.3 عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من 35 مختص نفسي واجتماعي منهم 14 ذكر (بنسبة 40%)، 21 أنثى (بنسبة 60%)، تتراوح أعمارهم بين 22 و 89 سنة، يبلغ متوسط العمر لديهم 33.26 بانحراف معياري قدر ب 11.95.

الجدول 01: خصائص عينة الدراسة حسب المستوى الدراسي

النسبة المئوية	التكرار	المستوى الدراسي
17.1%	6	ليسانس
65.8%	23	ماستر
0%	0	ماجستير
17.1%	6	دكتوراه
100%	35	المجموع

المصدر: من إعداد الباحثين

يشير الجدول إلى خصائص عينة الدراسة حسب المستوى الدراسي؛ حيث بلغ تكرار مستوى الليسانس 6 بنسبة 17.1%، وبلغ تكرار مستوى الماستر 23 بنسبة 65.8%، فيما قدر تكرار مستوى الماجستير ب 0 بنسبة 0%، ومستوى الدكتوراه ب 6 بنسبة 17.1%.

4.3 أداة الدراسة:

اعتمدت الباحثتان في الدراسة الحالية على استمارة "الآثار النفسية للإساءة للمقدسات الإسلامية من وجهة نظر المختصين النفسيين والاجتماعيين"، والذي قامتا ببنائه، حيث تم الاعتماد على استمارة قصيرة نصف موجهة شملت بضع أسئلة حول الموضوع.

تتكون هذه الاستمارة من بعض الأسئلة الشخصية مثل الجنس، السن، المستوى الدراسي، النشاط (العمل أو الدراسة)، إضافة إلى أربع (04) أسئلة تخص موضوع البحث، تجمع ما بين أسئلة مفتوحة حاولنا من خلالها إعطاء فرصة للمختصين للتعبير عن رأيهم وتشخيصهم، فيما كان بعضها الآخر عبارة عن أسئلة مغلقة للتوصل إلى إجابات محددة ودقيقة، بعدها تم جمع إجابات المختصين، والعمل على تحليلها ومناقشتها.

4. عرض النتائج ومناقشتها

بعد الانتهاء من تطبيق الاستمارات وجمع البيانات، سيتم عرض النتائج مع التعليق عليها ومناقشتها.

1.4 السؤال الأول:

نص على ما يلي: هل الإساءة للمقدسات الإسلامية تسبب أثارا نفسية للفرد الجزائري المسلم من وجهة نظر

مجموعة من المختصين النفسيين والاجتماعيين؟

الجدول 02: التكرارات والنسب المئوية الخاصة بإجابات المختصين عن السؤال الأول

النسبة المئوية	التكرار	الخيارات
63%	22	نعم
8.6%	3	ربما
2.7%	1	بدرجة ضعيفة
5.7%	2	بدرجة متوسطة
20%	7	بدرجة مرتفعة
100%	35	المجموع

المصدر: من إعداد الباحثين

نلاحظ من خلال الجدول أن إجابات المختصين عن السؤال الأول فيما يخص إذا كانت الإساءة للمقدسات الإسلامية تسبب أثارا نفسية للفرد الجزائري المسلم، قد قدر تكرارها بـ 22 مختصا أجاب بـ (نعم)، بنسبة مئوية بلغت 63%، فيما بلغت إجاباتهم بـ (ربما) تكرار 3 بنسبة مئوية قدرت بـ 8.6%، أما إجاباتهم بـ (بدرجة ضعيفة) فقد بلغ تكرارها 1 بنسبة مئوية بلغت 2.7%، وإجاباتهم بـ (بدرجة متوسطة) بلغ تكراره 2 بنسبة 5.7%، وإجابات المختصين بـ (بدرجة مرتفعة) بلغ تكرارها 7 مختصين أي بنسبة 20%.

ومنه نلاحظ أن معظم المختصين حسب آرائهم قد أكدوا أن الإساءة للمقدسات الإسلامية تسبب أثارا نفسية للفرد الجزائري المسلم، ويمكن أن نفسر ذلك أولا بأن الجزائر هو بلد مسلم يدين بالدين الإسلامي الحنيف، وكل أفراد المجتمع يقدرون دينهم بالتأكيد ويحترمونه ويقدمونه ويعتبرونه خطأ أحمر لا يجوز التعدي عليه ولا الإساءة له.

إن التنشئة الاجتماعية الأسرية والبرامج التعليمية المدرسية على اختلاف مراحلها سواء ابتدائي، متوسط، ثانوي علمت بشكل أو بآخر على ترسيخ مبادئ احترام الدين وتقديره وتقديسه إلى أبعد درجة، فالطفل في الأسرة والمدرسة يتعلم أن المصحف الشريف مثلاً -باعتباره أحد رموز ومقومات الدين الإسلامي- لا يوضع في أي مكان كان، ولا حتى على الأرض كغيره من الكتب التعليمية، بل إنه يوضع في مكانه المميز فوق الطاولة، قد نجد أن أحد الوالدين قد يفعل لمجرد رؤيته للقرآن الكريم على الأرض ويطلب من الطفل وضعه على الطاولة، فيما قد يمر مشهد وجود كتاب الرياضيات على الأرض مرور الكرام ولا يثير حفيظة أحد الوالدين.

إن الأمر نفسه يتكرر في البيت أو في المؤسسات التعليمية، فنحن تربينا ونشأنا على هذا التقديس والتبجيل للدين الإسلامي ولرموزه، حيث تكاثفت وسعت أطراف المجتمع كافة من أسرة ومؤسسات تعليمية والمجتمع ككل إلى تعزيز هذا التقديس، ولذا فإن أي إساءة تمس الدين الإسلامي أو أحد رموزه تثير الفرد الجزائري المسلم حتى وإن كان من العصاة -إن صح قول ذلك، فأحياناً نرى البعض يتفاعلون مع الأمر بحزم وجدية ويسعون في الدفاع عن الدين الإسلامي بحمية وبقوة، رغم أنهم لا يطبقون أحكامه كاملة، إلا أنه ورغم ذلك تأبى أنفسهم أن يتعرض دينهم أو أحد مقدساته للإساءة والإهانة، فالعلاقة بين الفرد الجزائري المسلم وبين دينه الإسلامي هي علاقة أشبه بأن نقول عنها أنها علاقة سامية مبنية على أساس القدسية المطلقة، حيث أن جميع الأفراد ورغم اختلاف أعراقهم، توجهاتهم، اهتمامهم، ودرجات إيمانهم وانصياعهم لتعاليم ديننا الإسلامي؛ تجمعهم نفس الغيرة والحمية على الدين الإسلامي وتسبب لهم آثار نفسية سيئة كالقلق، الغضب، الألم النفسي المعنوي، وغيرها.

في هذا الإطار نجد دراسة غريبي (2021) التي هدفت إلى إبراز أهمية المقدسات الدينية وتأثيرها في حياة المجتمعات وارتباطها بمعتقدات تلك الشعوب، وعلى هذا الأساس أدرك المجتمع الدولي الأهمية البالغة للمقدسات الدينية على اعتبارها أنها تراث مشترك للإنسانية جمعاء، حيث تشمل العقيدة والشعائر الدينية وأماكن العبادة، ونظراً لكثرة الاعتداءات عليها على مر العصور بات من الضروري توفير حماية في جميع المجالات القانونية والنفسية والاجتماعية. (غريبي، 2021)

2.4 السؤال الثاني:

نص على ما يلي: ما هي الآثار النفسية التي تسببها الإساءة للمقدسات الإسلامية لدى الفرد الجزائري

المسلم من وجهة نظر مجموعة من المختصين النفسيين والاجتماعيين؟

ورد هذا السؤال في استمارتنا البحثية بصيغة سؤال مفتوح، لأن مثل هذا السؤال لا يمكن حصره في خيارات محددة، فالإجابة عنه متشعبة وتحتل الكثير من الآراء، وعموماً سنحاول ذكر أهم الآثار النفسية التي تسببها الإساءة للمقدسات الإسلامية حسب رأي المختصين.

تسبب الإساءة للمقدسات الإسلامية العديد من الآثار النفسية حسب المختصين وهي كالتالي: الاكتئاب، الشعور بالذنب اتجاه الله، الغيرة على الدين، إحساس الفرد بالإيذاء وبأنه قد أُوذي من طرف الغير، المساس بهويته

كمسلم، العنصرية، الضعف وعدم القدرة على الرد لأنه شخص بسيط وصوته غير مسموع، الكره، الذل، الغضب والأفكار العدائية، القلق والحيرة، تحطم نفسيته، التأثر والتوتر، تُولد لديه مشاعر سلبية، الإحباط، الانزعاج، الحزن، الضغط، تزيد من تمسك الفرد بدينه، الشعور باليأس لأنه لا يستطيع حماية هذه المقدسات، يشعر بعدم احترام الغير له وبالذونية والانتقاص من هويته والإقصاء من طرف الآخر، يشعر بأنه محل شبهة، الأذى النفسي، التعصب للدين، الاضطراب النفسي والبحث من جديد في الموضوعات الدينية، الانفعال والإحساس بالضعف والهوان مما قد يؤدي إلى تصرفات خاطئة اتجاه أمور في مجتمعه يراها سببا في الوضع الحالي للمجتمعات الإسلامية وما هي فيه من تدهور.

كانت هذه مجموعة من الآثار النفسية التي أوردتها المختصون في إجاباتهم، وما يستخلص أن الإساءة للمقدسات الإسلامية تؤثر على الفرد الجزائري المسلم وعلى كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتسبب لهم مجموعة من الردود النفسية السيئة وهذا دليل قوي على غيرة الفرد على دينه وتمسكه به، وعلى رفضه لأي مظاهر الإساءة للمعتقدات الإسلامية تحت مظلة حرية التعبير التي تدعو إليها المنظمات العالمية، فحرية التعبير تنتهي عند حقوق الأفراد في اعتناق مذاهبهم وعقائدهم، وممارسة طقوسهم وتعاليمهم، ولهذا تحدث الكثير من المختصين عن الإحساس بالضعف، المساس بالهوية، العنصرية، الذل واليأس، كما تحدثوا عن الشعور بالذنب ربما بسبب التصير وبأنهم لم يكونوا نماذج جيدة ولم يقدموا صورة حسنة عن دينهم، لذلك يتولد لديهم هذا الإحساس.

في هذا الإطار نجد دراسة "كينيت وآخرون" (2005) التي جاءت لفهم الأفراد وتأثرهم بأحداث الحياة الكبرى من حيث الأبعاد الروحية والنفسية والاجتماعية والجسدية، على وجه التحديد، حيث تم دراسة الأحداث الحياتية التي تشمل انتهاك المقدسات وتدنيسها وتأثيرها على صحة الفرد ورفاهيته، تم تطبيق الدراسة على عينة قدرت بـ 117 فردا، تم اختيارهم عشوائياً من المجتمع، تم تطبيق مقاييس التأقلم الديني، وتأثير الحدث، وأربع مجموعات من المعايير: التأثير، والصحة البدنية، والاضطراب العاطفي، والنمو، وما تم التوصل إليه هو أن تدنيس المقدسات لا علاقة له بالصحة الجسدية، مع وجود أنماط متباينة إلى حد ما، من الضيق العاطفي، في حين أن إفساد الآثار المقدسة كان منبئاً لوجود أفكار سيئة وظهور الاكتئاب، كما كان التدنيس مرتبطاً بأفكار أكثر تدخلاً وغبناً أكبر، تؤكد هذه النتائج على أهمية وتعدد الأبعاد الروحية والنفسية للمقدسات لدى الأفراد. (كينيت و آخرون، 2005)

إضافة إلى هذا نجد أن المختصين تحدثوا عن القلق، الغضب، الاكتئاب، الحيرة والتوتر، الإحباط، الانزعاج، المشاعر السلبية، وهذه كلها نتائج لرفض مثل هذه الممارسات المسيئة للدين الإسلامي، ونقل إنها أيضا ردود فعل ثانوية حيث أن عدم القدرة على الدفاع عن الدين الإسلامي، والتفاعل مع الأمر، وإيصال الصوت للآخرين ولد لديهم مشاعر سلبية شخصية تتم كلها عن غيرة الشديدة على الدين الإسلامي، ومحاولة الدفاع عنه بحسب قدرة كل شخص، حتى ولو كان حدوث ذلك فقط على المستوى النفسي الداخلي.

في نفس الوقت أشار المختصون إلى بعض الجوانب الإيجابية التي تتولد لدى الفرد نذكر منها التمسك بالدين، الاطلاع من جديد على المواضيع الدينية، تعظيم الدين الإسلامي، الدفاع عنه عبر الوسائل والمواقع الإلكترونية مما يريحهم نفسياً.

3.4 السؤال الثالث:

نص على ما يلي: هل تختلف الآثار النفسية المتكونة عند الفرد الجزائري المسلم بفعل الإساءة للمقدسات الإسلامية باختلاف الجهات المسؤولة عن هذه الإساءة (إساءة صادرة عن دولة، عن أحد الرموز السياسية، إساءة صادرة عن شخص ما في الشارع)؟

الجدول 03: التكرارات والنسب المئوية الخاصة بإجابات المختصين عن السؤال الثالث

النسبة المئوية	التكرار	الإجابة
62.85%	22	المجيبون ب نعم
25.73%	9	المجيبون ب لا
11.42%	4	المحايدون
100%	35	المجموع

المصدر: من إعداد الباحثين

نلاحظ من خلال الجدول أن إجابات المختصين عن السؤال الثالث قد انقسمت إلى ثلاث فئات، الفئة الأولى هم المجيبون ب (نعم) حيث بلغ عددهم 22 مختصاً، بنسبة مئوية بلغت 62.85%، أما الفئة الثانية وهم المجيبون ب (لا) فقد بلغ عددهم 9 بنسبة مئوية قدرت ب 25.73%، وأخيراً الفئة الثالثة الذين كانت إجاباتهم محايدة مثل (لا أدري) فبلغ عددهم 4، بنسبة مئوية بلغت 11.42%.

ما يجدر بنا الإشارة إليه أن إجابة أغلبية المختصين بنعم بخصوص هذا السؤال، قد يرجع إلى أن الإساءة الصادرة عن جهات سياسية تكون أكثر صدىً وشعبية، وبالتالي أكثر ازعاجاً وإثارة للاستياء من تلك الصادرة عن شخص عادي أو جهة عادية، ربما لأن الجهات السياسية دائماً ما تكون عيون الصحافة عليها، ودائماً هي محط الأنظار، ويتم تناقل أخبارها عبر البرامج والقنوات المختلفة وعبر الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وبالتالي تنتشر أكثر بين الأفراد، إذ أن الشخصيات السياسية التي تصدر عنها الإساءة تلعب دوراً سلبياً أكبر يختلف عن غيره الخاص بالشخصيات الشعبية المسيسة، فهذه الشخصية تمثل الدولة، فإذا هي تحمل صفة الرسمية، وتتحدث

غالبا باسم الشعب وبتأييد من الحكومة، ما يسبب للفرد المسلم شعورا بالعنصرية ضده و ضد معتقداته، ويحسسه بالإهانة و طنيا وعالميا، فيما قد لا يصل صوت الإساءة الصادر عن جهات عادية أو أفراد من الشعب إلى المستوى العالمي ولا ينتشر في وسائل الإعلام ويبقى الأمر محليا معزولا و ينسى في فترات قصيرة، عكس الإساءات الصادرة عن الحكومات والسياسيين الذين تتداول بكثرة ولفترات مطولة مما يسبب للفرد الجزائري وللمسلمين عامة مشاعرا سلبية وشعورا بالقلق والتوتر والانزعاج وغيرها من الآثار النفسية الناتجة عن ذلك.

أما المختصون الذين رأوا بأنه ليس هناك فرق في الآثار النفسية الناتجة عن الإساءة للمقدسات الإسلامية ترجع لنوع الجهة المسؤولة عن الإساءة، فقد يفسر ذلك بأنه برأيهم سواء كانت الإساءة صادرة عن رجال السياسة أو عن أشخاص وجهات عادية، فهؤلاء هدفهم واحد وهو الإساءة للدين الإسلامي، وهو أمر سيء وغير محبذ، لأنه يمس الهوية الدينية للمسلمين عامة في كل مكان، فالدين خط أحمر ولن يختلف أثر الإساءة إليه باختلاف الجهة، فالإساءة تبقى إساءة.

4.4 السؤال الرابع:

نص على ما يلي: هل تختلف الآثار النفسية المتكونة عند الفرد الجزائري المسلم بفعل الإساءة للمقدسات الإسلامية باختلاف شكل هذه الإساءة وطبيعتها (رسوم كاريكاتورية، صور مسيئة، هدم مسجد، تصريحات لاذعة، أفعال مشينة)؟

ورد هذا السؤال في استمارتنا البحثية بصيغة سؤال مفتوح، لكننا استطعنا جمع وتصنيف إجابات المختصين في الجدول التالي:

الجدول 04: التكرارات والنسب المئوية الخاصة بإجابات المختصين عن السؤال الرابع

النسبة المئوية	التكرار	الإجابة
37.15%	13	المحييون ب نعم
48.57%	17	المحييون ب لا
14.28%	5	المحايدون
100%	35	المجموع

المصدر: من إعداد الباحثين

نلاحظ من خلال الجدول أن إجابات المختصين عن السؤال الرابع قد انقسمت كذلك إلى ثلاث فئات، الفئة الأولى هم المجيبون ب (نعم) حيث بلغ عددهم 13 مختصا، بنسبة مئوية بلغت 37.15%، أما الفئة الثانية وهم المجيبون ب (لا) فقد بلغ عددهم 17 بنسبة مئوية قدرت ب 48.57%، وأخيرا الفئة الثالثة الذين كانت إجاباتهم محايدة مثل (لا أدري) فبلغ عددهم 5 بنسبة مئوية بلغت 14.28%.

ما نلاحظه أن النسبة الأكبر كانت للذين أجابوا ب (لا) أي لا تختلف الآثار النفسية المتكونة عند الفرد الجزائري المسلم بفعل الإساءة للمقدسات الإسلامية باختلاف شكل هذه الإساءة وطبيعتها، وهذا قد يُفسر بأن تشويه صورة الإسلام قد وقع ولا يهم شكل الإساءة أو طبيعتها، فالإساءة تبقى إساءة والتعدي على مقدسات الآخرين أمر مرفوض ولا أخلاقي وسيء ويسبب أضرارا نفسية ومعنوية للمسلمين، فهم يقدرسون ويحترمون رموزهم ولا يقبلون بأي شكل من الأشكال أي تعدي على ممارساتهم سواء كان ذلك معنويا كإشارات أو عبارات تمس مقوماتهم الدينية، ولا فعليا كتدنيس أو هدم دور العبادة أو إفساد كتبهم وتعاليمهم.

فيما رأى مختصون آخرون أن الآثار النفسية عند الفرد تختلف باختلاف شكل الإساءة وطبيعتها، فهناك إساءات مؤثرة في الفرد كثيرا مثل هدم مسجد، أو رسوم كاريكاتورية تمس الرسول "صلى الله عليه وسلم"؛ حيث تجعل الفرد يشعر أنه هو المعني مباشرة وأن الغير يريد أن يصل إليه ويشوه عقيدته المقدسة ليقصيه من المشهد العام كأنه فرد متخلف ورجعي غير قابل للتطور.

خاتمة:

جاءت دراستنا الحالية للبحث في الآثار النفسية للإساءة للمقدسات الإسلامية من وجهة نظر مجموعة من الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين، وقد أشارت النتائج إلى أن 63% من المختصين قد أشاروا إلى أن الإساءة للمقدسات الإسلامية لها آثار نفسية على الفرد الجزائري، وأن هذه الآثار النفسية تختلف كثيرا باختلاف الجهة المسؤولة عن الإساءة، فيما لا تختلف كثيرا باختلاف شكل وطبيعة الإساءة هذا كله من وجهة نظر المختصين النفسيين والاجتماعيين.

نستنتج مما سبق أن الإساءة للمقدسات الإسلامية تعتبر فعلا لا أخلاقيا، فلا يجوز لأي شخص أو أي جهة سواء كانت اجتماعية شعبية، أو وطنية أو دولية، أن تعدي على مقومات الدين الإسلامي أو أحد رموزه المقدسة بحجة حرية التعبير، سواء كان ذلك، لفظيا أو فعليا.

التوصيات: ارتأينا ختم دراستنا بمجموعة من التوصيات، وهي:
- ضرورة الحفاظ على الصورة الحسنة الجيدة لنا كمسلمين
- السعي إلى الدفاع عن الإسلام بأساليب أخلاقية والابتعاد عن استخدام الأساليب العدائية
- نشر كل ما هو جميل عن الإسلام؛ بمبادئه الأصيلة، وتعاليمه السمحة.
- إجراء المزيد من البحوث والدراسات التي تهتم بالآثار النفسية للإساءة للمقدسات الإسلامية وربطها بمفاهيم ومتغيرات أخرى.

قائمة المراجع:

أحمد الرشيدى، و عدنان السيد حسن، (2002)، *حقوق الإنسان في الوطن العربي*، دار الفكر للنشر والتوزيع، سوريا.
أحمد زكي، بدوي، (1985)، *معجم مصطلحات الإعلام*، دار الكتاب اللبناني، لبنان.
إسحاق إبراهيم، (2013)، *حصار التفكير قضايا ازديان خلال عامين من الثورة*، القاهرة، مصر.
بارغامنت كينيت، وآخرون، (2005)، *تدنيس المقدسات: دراسة عن انتهاك المقدسات وآثارها على الصحة والرفاهية*
لدى عينة مجتمعية، *مجلة الدراسة العلمية*، 44، 59-78.

بن عثمان محمد بن بشير. (1987)، *بيت المقدس وما حوله*، دار الفكر للنشر والتوزيع، الكويت.
حسن الشيخ. (09 أوت، 2006). *احترام المقدسات الدينية بين الشعوب*. تم الاسترداد من

www.saffaar.org

حقوق الإنسان، (دون سنة). *بعض الحقوق الرئيسية الأخرى: حرية التفكير والوجدان والدين والرأي والتعبير وتكوين الجمعيات التجمع*، تأليف دليل بشأن حقوق الإنسان خاص بالقضاة والمدعين العاملين والمحامين، حقوق الإنسان في مجال إقامة العدل.

علي غربي، (2021). *تشويه صورة الإسلام: بين مقتضيات القانون الدولي ومتطلبات حرية التعبير*. *المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية*، 05(02)، 1012-1035.

لعلي يجاوي، (2010)، *حماية المقدسات الدينية عند الدول غير الإسلامية: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجنائي العام*، باتنة، أطروحة ماجستير منشورة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.

محمد إبراهيم، (2007)، *المبرق قاموس موسوعي للإعلام والاتصال فرنسي عربي*، الأبيار، الجزائر.

موسى بريزات، (2015)، *الدين: المحكوم على الإسلام والمسلمين وعلى الرموز الدينية بين خطاب الكراهية وبين حرية التعبير*، الحوار العربي الأمريكي اللائبي الثالث للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان، الدوحة، قطر.

نورة طلحة، (2018)، حرية التعبير وقانون العقوبات، بلعباس، أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة الجليلي اليابس بسيدي بلعباس، الجزائر.

وليد قحقح. (دون سنة). الحماية الجنائية الدولية للمقدسات الدينية. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، 13، 233-246.